ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع بي يهودي ولا نصراني فلا يؤمن الا كان من اهل
النار قال ابو موسى فظننت في نفسي ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول مثل هذا الا
من القرآن فوجدت الله تعالى يقول ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال بعض
العلماء ولما دلت الآية على ان من كفر به كان النار موعده وقوله تعالى فلا تك في مرية
اي شك منه اي القرآن والموعد انه الحق من ربك الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويؤيد ذلك قوله
تعالى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون اي لا يصدقون بما اوحيناه اليك او من ان موعد
الكفار النار ثم وصف الله تعالى هؤلاء المكذبين الجاحدين بصفات كثيرة في معرض
الذم الصفة الاولى كونهم مفترين على الله كما قال تعالى ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا بنسبة الشريك والولد اليه او اسكنه اليه ما لم ينزله او سعى عند
ما انزله الصفة الثانية انهم يعرضون على الله تعالى في موقف الذل والهوان
كما قال تعالى اولئك يعرضون على ربهم اي يوم القيمة فان قيل هم لا يخصون
بهذا العرض لان العرض عام في كل العباد كما قال وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا
بانهم يعرضون فيقتصص لشهادة الاشهاد عليهم كما قال تعالى ويقول
الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم فيحصل لهم من الخزي والنكال ما لا مزيد
عليه وهذه الصفة الثالثة واختلف في هؤلاء الاشهاد فقال مجاهد هم
الملائكة الذين يحفظون اعمالهم عليهم في الدنيا وقال مقاتل هم الانبياء
كما يقال على رؤس الاشهاد اي على رؤس الناس فقال قومهم لا نبيا كما قال
تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا عن عبد الله بن عمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يدني المؤمن يوم القيمة فيستره من
الناس فيقول اي عبدي اتعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم حتى اذا قرره بذنوبه
قال فانا سترت عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته
واما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم وفي الخبر
الله تعالى عن حالهم في عقاب لقيامة اخبر عن حالهم في الحال لقوله تعالى الا لعنة
الله على الظالمين فبين تعالى انهم في الحال ملعونون من عند الله وهذه هي
الصفة الرابعة ثم وصفهم بالصفة الخامسة بقوله تعالى الذين يصدون
عن سبيل الله اي دينه ثم وصفهم بالصفة السادسة بقوله تعالى ويبغونها اي

يطلبون

يطلبون السبيل عوجا اي معوجة اي كانهم ظلموا انفسهم بالتزام الكفر والضلال
فقد اضافوا اليها المنع من الدين الحق والقاء الشبهات وتعويج الدلايل المستقيمة
لانه لا يقال في العاني انه يبتغي عوجا وانما يقال ذلك فيمن يعرف كيف الاستقامة
وكيفية العوج بسبب القاء الشبهات وتقرير الضلالات ثم وصفهم بالصفة
السابعة بقوله تعالى وهم اي والحال انهم بالاخرة هم كافرون وتكرير لفظهم
لتاكيد كفرهم وتوغلهم فيه الصفة الثامنة كونهم عاجزين عن الفرار من
عذاب الله تعالى اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي لم يكونوا معجزين الله في الدنيا ان
يفاتهم اذ لا يمكنهم ان يهربوا من عذابه فان هرب العبد من عذاب الله تعالى
محال لانه تعالى قادر على جميع الممكنات ولا تفاوت قدرته بالقرب والبعد
والقوة والضعف الصفة التاسعة انهم ليس لهم اولياء يدفعون عقاب
الله تعالى عنهم كما قال تعالى وما كان لهم من دون الله اي غيره من اولياء
وانصار يمنعونهم من عذابه الصفة العاشرة مضاعفة العذاب كما قاله
تعالى يضاعف لهم العذاب اي بسبب اضلالهم غيرهم وقيل لانهم كفروا بالله
وكفروا باليوم الآخر والنشور الصفة الحادية عشر قوله تعالى ما كانوا يستطيعون
السمع قال قتادة صم عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعوا به وما
كانوا يبصرون خيرا فيأخذوا به قال ابن عباس اخبر الله تعالى انه حال
بين اهل الشرك وبين طاعة الله في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا
يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون واما في الآخرة فانه قال ابصرنا وسمعنا
الصفة الثانية عشر قوله تعالى اولئك خسروا انفسهم فانهم اشتروا بها
الالهة بعبادة الله تعالى فكان مصيرهم الى النار الموبدة عليهم وذلك
اعظم وجوه الخسرانات الصفة الثالثة عشر قوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون
على الله تعالى من دعوى الشريك وان الالهة تشفع
لهم الصفة الرابعة عشر قوله تعالى لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون اي لا احد
اعظم واكثر خسرانا منهم قال الفراء لا جرم بمنزلة قولنا لا بد ولا
محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا تقول العرب لا جرم لاكرمن
محسن علي معنى انك محسن وقال الزجاج ان كلمة لا ينفي بها ما ظنوا انه
ينفعهم وجرم معناه كسب ذلك الفعل لهم الخسران في الدنيا والآخرة قال
الازهري وهذا من احسن ما قيل في هذا الباب وقال سيبويه لا رد على
اهل الكفر كانه قيل حق ذلك لهم وجرم معناه حق كفرهم وقوع العذاب والخسران
بهم واصل سيبويه بقول الشاعر ولقد طعنت ابا عيينة طعنة
جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا اراد حقت الطعنة فزارة ان
يغضبوا ولما ذكر تعالى عقوبة الكافرين وخسرانهم اتبعه بذكر احوال المؤمنين
في الدنيا ومرجعهم في الآخرة بقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)